للنهوض باللغة العربية يجب

1) توثيق الروابط بين العرب
2) الاتصال برجل الشارع
3) تضييق الشقة بين العامية والفصحى

الدكتور عبد الكريم الأشتر

كلية الآداب (دمشق)

تلقيت كتابكم ، واحمد لكم انكم اعرتم قضايا اللغة العربية فى عصرنا هذا الاهتمام الواسع ، حتى يجعل منها آلة مرنة للفكر العربي الحديث ، قادرة على ان تستجيب لحاجات العصر المادية والفكرية وان تسعها فى يسر وغنى . واعتقد ان الاسئلة الخمسة التي طرحتموها فى كتابكم يتصل بعضها ببعض ويتفرع بعضها عن بعض ؛ فان ما تعانيه لغتنا خارج الجامعة ، من نقص فى التعبير عن حياتنا المادية والفكرية ، وفى تطويرها ، هو ما تعانيه داخل الجامعة ، وان اتسع المدى هناك وضاق هنا . فاذا صلحت اللغة للحياة خارج الجامعة صلحت داخلها . ثم ان ايجاد المصطلح العلمي المناسب للكشوف الحضارية الجديدة ، فى ميادينها الانسانية كلها ، ينبغي ان نجد له الحل داخل الجامعة وخارجها على السواء ، فانه من المتعذر ان تنقطع الجامعة عن الحياة الجارية من حولها ، خشية ان تعزلها الحياة — وهي الاقوى ، لانها المورد والمصدر — وتتنكر لها ، وتلغي رسالتها الرامية الى توثيق صلتها بحياة المجتمع المتخلف ، لتطويره تطويرا ناجزا فى ميادين الحياة كلها .

* * *

ولعل « اهم المشكلات التي تعترض سير اللغة العربية ، وتحد من انتشارها بسرعة فى العالم » تكمن فى انها ، قبل كل شىء ، لغة محلية ، لانها لغة متخلفة عن ركب الحضارة فى هذا العصر ، بعيدة عن منابع التأثير فى سياسة العالم واقتصاده وفكره وروحه . على انني لا اجهل ان تخلف لغتنا بدوره يقصر بنا عن مجاراة هذا الركب والتأثير فى مسيرته الكبرى ، فتلك حلقة التأثير والتأثر التي كتب علينا ان نكسر احد اطرافها حتى ننفذ من الطوق . على انني اعتقد ، مع ذلك ، ان نمو قدراتنا المادية على اي وجه ، حتى نتمكن من التأثير فى حياة العصر السياسية والاقتصادية والفكرية ، يعين لغتنا على أن تنهض وتنتشر وتفرض نفسها على الناس ؛ على نحو من الانحاء

ولكن هذا لا يعني اننا نصل بذلك الى حل مشكلات اللغة ، وتذليل العقبات التي تعترض سيرها ، وتحد من انتشارها ، فستظل لغتنا عاجزة عن ان تكون احدى لغات حضارة العصر ما لم نمهد لها سبل الاصلاح من الداخل ؛ حتى تمرن وتسهل وتغني بمعارف العصر ؛ فتقوى على أن تخاطب الانسان المعاصر من اي جنس ، فى اي شأن من شؤون الحياة ؛ خطابا سهلا دقيقا ميسرا غنيا .

* * *

1 — ان صعوبة قواعد العربية ، فى رأينا ، نحوا وصرفا واملاء ، وتعقدها واشتباكها عقبة اساسية اولى لا تنكر ابدا ؛ وان تغافلت عنها فئة دفنت رأسها فى رمال العصور ؛ ووقفت لكل حركة اصلاحية فيها بالتسفيه حينا ، والتنقيص حينا ، والكيد والتجريح والشغب أحيانا كثيرة . فهؤلاء يفوتون علينا — دون ان يشعروا — فرص اللحاق بالقطار فى اسرع وقت ، بحجة الحفاظ على كيان اللغة وكيان الفكر العربي وتماسكه واصالته من خلالها ؛ كأن كل من دعا الى الاصلاح متهم مسبقا بالتفريط فى تراثه الحضاري وقيمه العظيمة . على أن هذا الاصلاح ينبغي ان تتولاه حقا أيد موثوقة جريئة عالمة حريصة على ملامح وجودنا التاريخي واصالته ، وعلى متانة روابطها الفكرية والروحية بتراثنا العظيم ، فى مناحي حياتنا كلها . **ولعل اخطر ما**

يعطل هذا الاصلاح هو جمود ابرز علماء العرب المعاصرين بلغتهم وتراثها ، وعجزهم عن فهم المرحلة التاريخية الصعبة التي تجتازها امتهم ، وفهم ثقافتها الحديثة ، لانقطاعهم عن حياة العصر وعن منابعها الجارية بعيداعنهم، فهم يحسبون — لضآلة الساحة التي يطلون عليها من نوافذها الضيقة — اننا نضطرب فى قلب الحياة ، ونحن فى حقيقة الامر ، انما نجول على حواشيها المظلمة ، ونقوم — على مسرحها الكبير — بدور الجوقة لا غير .

وقد اصطفينا مجموعات من العلماء فى مجامعنا العلمية ليقوموا بتمحيص حركات الاصلاح وتغذيتها وتوجيهها من ناحية ، وليسهروا على حركات التعريب والاشتقاق والتوليد ويقوموها ويشتوا لها السبل الصحيحة من ناحية اخرى ، ولكنهم ، لاسباب كثيرة، وقفوا من ذلك عند حد .

2 — ان حركة التعريب والاشتقاق والتوليد هذه تعنى بتذليل العقبة الاساسية الثانية ، وهي نقص المصطلح العلمي والفني الحديث فى لغتنا ، وتنشيطها يعني تنشيط المؤسسات العلمية والفكرية، على اختلافها ، فى انحاء الوطن العربي كله ، لتكوين جيل من العلماء متفتح على حضارة العصر وثقافاته النامية من ناحية ، وقادر على البحث والتنقيب فى تراثنا القديم كله ادبا ولغة وتاريخا وفلسفة وفقها وعلوما ومعجمات من ناحية اخرى ، حتى تحيي الصالح مما يفي بهذا المصطلح ، او يعوض عنه تعويضا دقيقا حيا ، او نشتق له من اصول لغتنا وموادها ، او نصوغ له فى آخر الامر صيغة نرضاها ويطمئن اليها نظام اللغة الصوتي الذي تخضع له فى تصريفها . وينبغي الا نقطع صلتنا بالناس فى الوصول الى هذا المصطلح والا نتجاهل الحياة الجارية من حولنا ، وان نرعى لها منطقيا فلا نقسرها على قبول ما لا تقبله او ما تجاوزته منذ زمن . ثم ينبغي ، من ناحية اخرى ، أن نفيد من الجهود الفردية المبذولة ، عن طريق الصحافة والكتاب والمحاضرة ووسائل الاعلام المختلفة . ثم أن يجرى التنسيق — على مستوى الوطن العربي — بين هذه الاطراف كلها ، وتعمم نتائجه تعميما سريعا تقويه حركة تبادل ثقافي نشيطة بين اقطار الوطن العربي فى المشرق والمغرب.

ولعل من المؤلم ان نعجز اليوم ، ولنا مجامعنا وجامعاتنا ومعاهدنا ومؤسساتنا الفكرية الكثيرة ووسائل اعلامنا الحديثة النمية ، عن تحقيق ما حققه افراد الرواد الذين عاشوا فى مطلع النهضة الحديثة ، فى القرن التاسع عشر (**أمثال الطهطاوي والشدياق** والبستاني وغيرهم) ، من السعي فى خلق اللغة الحديثة الدمثة السهلة الغنية بمصطلحات العلم والثقافة المختلفة ، حتى لكأننا ينقصنا ايمانهم بأمتهم وانفسهم وتراثهم وقدرتهم على البقاء والنمو والتجدد ومواجهة حضارة العصر ، من اوسع الابواب

وتتصل بقضية خلق المصطلح الحضاري الحديث فى لغتنا مسألتان :

الاولى : **مسالة توثيق الروابط بين اقطار الوطن العربي فى المشرق والمغرب** . فان هذا بالغ الاهمية فى الوصول الى المصطلح المناسب وفى شيوعه واغنائه وتطويره ، على ان ينهض المكتب الدائم لتنسيق التعريب بمهمة التوجيه والتعميم . ولعل هذا الاتصال الفكري وتعميقه وتوثيق اسبابه اجدى علينا ، آخر الامر ، من دعاوي السياسة ومفارقاتها الكثيرة . ونحن فى المشرق ينبغي الا نماري فى اننا نكاد نجهل تراث المغرب العربي الفكري والعلمي والادبي ، فى القديم والحديث .

فلعل رعايتنا لهذا التراث العظيم فى المغرب يزيد من قدرتنا على الاشتقاق والتوليد واختيار المصطلح المناسب لنا جميعا .

والثانية : **اتصال رجل اللغة فينا بالشارع** ، والكف عن احتقاره اياه ، وعن عده بيئة منحرفة عن قواعد اللياقة اللغوية . فهذا الاتصال ييسر لنا أن نفهم الحياة من حولنا ونقبلها ونأخذ منها ونعطيها ، فانه ينبغي الا ننسى ، فى اي حال ، **أن الشارع اقرب الى الحياة منا** ، واننا انما نعمل على اغناء حياته وتطويرها . ولن يتيسر لنا ذلك دون أن نتصل به ونقدره قدره ، وسنجد اننا نلقى فيه كنوزا من المعربات الجارية السهلة تغنينا عن نحت مصطلحات جديدة قد لا يكتب لها النصر فى معركة الحياة فى الشارع من بعد ، وهي المعركة الوحيدة الحاسمة فى حياة هذا المصطلح .

ثم ان هذا الاتصال يجعلنا اقدر على اختيار المصطلح المناسب ، وعلى اشتقاقه وتوليده وصياغته، فلا يرفضه الشارع من بعد .

3 — وقد يعودنا هذا ، بالتالي ، على **تضييق الشقة بين العامية والفصحى** — وهي العقبة الاساسية الثالثة — حتى نصل الى اللغة الوسطى التي تحفظ قدرة الفصحى وغناها واسلوبها الاصيل فى التركيب والصياغة ، وتصل فى الوقت نفسه الى البساطة والسهولة اللتين نتوخاهما للغتنا . وبهذا يتيسر لنا امتلاك الشارع من بعد ، وتوجيهه ، والافادة من طاقاته الكبيرة .

* * *

هذه هي ، فى رأيي ، اهم العقبات التي تعوق اللغة العربية عن أن تسع الحياة الحديثة وتغني بها ، ويزداد اثرها فى الناس ، ويمتد انتشارها فى العالم ، ويصلح بها التعليم فى الجامعة وخارجها . فاذا ذللت هذه العقبات — وتلك طريق ينبغي الا يثنينا طولها ومشاقها عن النكوص عنها — وتهيأ لنا — فى الوقت نفسه — أن ندعم موقفنا من سياسة العالم واقتصاده، كان لنا ما نرجوه من بعد الاثر وحسن الصنيع فى الحضارة الانسانية عن طريق هذه اللغة التي دعت تراث البشرية فى حقبة طويلة من الزمان ، دون ان تضيق به او تعجز عنه .